

# الباب الثالث

## العلم والعمل حق المرأة في التعلم والتعليم

المرأة المسلمة . الجزء الأول



أولاً : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة :

لقد أمرنا الله عز وجل بالعلم وحثنا عليه منذ أول كلمة نزلت على الرسول الكريم من كلمات وحى الله عز وجل فى قوله تعالى :

﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* أَفَرَأَوْ رَبَّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ <sup>(١)</sup> ﴾

ولا يمكن المساواة بين العالم والجاهل فى المنزلة والمكانة . يقول الله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ <sup>(٢)</sup> ﴾

ومن توجيهات القرآن الكريم لرسول الله ﷺ - فضلاً عن غيره - أمره بأن يقول :

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا <sup>(٣)</sup> ﴾

واعتبر رسولنا الكريم ﷺ طلب العلم فريضة وركناً من الإيمان بالله ، شأن المرأة فى ذلك شأن الرجل سواء بسواء ، ففى الحديث الشريف عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

[ طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ] . ولفظ المسلم فى الحديث عام يشمل الذكر والأنثى على السواء <sup>(٤)</sup> .

(١) سورة العلق - الآيات من ١ - ٥

(٢) سورة الزمر - من الآية التاسعة

(٣) سورة طه - من الآية ١١٤

(٤) رواه ابن ماجه وغيره (التريغيب والترهيب ، ج ١)

فللمرأة حقها الكامل في التعلم والتعليم ، ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

[ مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ  
أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضاً بِمَا يَصْنَعُ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي  
الْأَرْضِ ، حَتَّى الْخَيْتَانِ فِي الْمَاءِ ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ  
النُّجُومِ ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهماً ، وَإِنَّمَا وَرَثُوا  
الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ ] (١) .

وروى الترمذى عن أبى أمانة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

[ فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَذْنَاكُمْ . . . إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ ، حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا ، وَحَتَّى الْحَوْتَ ، لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ  
الْحَقِيرِ ] .

فبالعلم تنضج العقول ، وترتفع النفوس ، وتصفو القلوب .

وفي حديث شريف للرسول ﷺ يقول :

[ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَجُودِ الْأَجُودِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : <sup>شَرُّهُ الْأَجُودِ</sup> ، وَأَنَا  
أَجُودُ وَلَدِ آدَمَ ، وَأَجُودُ مَنْ بَعْدِي رَجُلٌ عَلِمَ عِلْماً فَنَشَرَهُ ، يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَةً وَحْدَهُ ،  
وَرَجُلٌ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى قُتِلَ ] (٢) .

وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

[ إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ  
وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ] .

فالمرأة المسلمة الناجحة في الحياة يجب أن تتمتع بثقافة إسلامية عالية ، كما يجب أن  
تشغل فكرها بثقافات عامة في جميع مجالات الحياة حتى تستطيع أن تدبر أمور بيتها ،

(١) رواه أبوداود والترمذى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) متفق عليه .

يرعى زوجها وأولادها ، وتربيهما التربية الإسلامية العلمية الصحيحة بقدر ما عادت من ثقافات في مختلف نواحي الحياة .

وفي الحديث الشريف الذي يرويه الشيخان والترمذي عن النبي ﷺ أنه قال :  
« مَنْ بُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ » .

وهل هناك إحسان للبنات أعظم من تعليمهن تعليماً يرتقى بهن إلى مستوى التفكير والسلوك العلمى المنظم .

ومما يجب أن يتعلمه الإنسان - ذكراً وأنثى - التفقه في الدين ، فقد قال النبي ﷺ :  
« مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » .

وقال عمر بن عبد العزيز : « مَا قُرِنَ شَيْءٌ بِشَيْءٍ أَحْسَنَ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ » .  
وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه :

« تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ، فَإِنَّ تَعْلِيمَهُ اللَّهُ خَشْيَةً ، وَطَلِبُهُ عِبَادَةٌ ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ ، وَمَذْكِرَاتُهُ تَسْبِيحٌ ، وَتَعْلِيمُهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ ، وَبَذْلُهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ » .  
وقال على بن أبى طالب :

« كَفَى بِالْعِلْمِ شَرَفًا أَنْ كُلَّ أَحَدٍ يَدْعِيهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ ، وَكَفَى بِالْجَهْلِ خِزْيًا أَنْ كُلَّ أَحَدٍ يَتَبَرَأَ مِنْهُ ، وَإِنْ كَانَ بِهِ مَوْسُومًا » .

وقيل لحكيم : لِمَ لَمْ يَجْتَمِعِ الْعِلْمُ وَالْمَالُ ؟ قال : لعز الكمال .

ولقد وصى رسول الله ﷺ بإكرام العلماء وإجلال المعلمين ، فروى الطبرانى في الأوسط عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ، ﷺ : « تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ، وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَعَلَّمُونَ مِنْهُ » .

وروى أحمد والطبرانى والحاكم عن عباد بن الصامت ، أن رسول الله ﷺ قال :  
« لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلِّ كَبِيرَتَنَا ، وَيَرْحَمْ صَغِيرَتَنَا ، وَيَعْرِفَ لَعَالِنَا ( حَقُّهُ ) » .

وروى الطبراني في الكبير عن أبي أُمّامة ، أن رسول الله ﷺ قال :  
[ ثَلَاثٌ لَا يَسْتَحِفُّ بِهِمْ إِلَّا مُتَافِقٌ : ذُو الشَّيْبَةِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَذُو الْعِلْمِ ، وَإِمَامٌ  
مُقْسِطٌ ] .

وقد عوتب الإمام الشافعي على تواضعه للعلماء فقال :  
أَهَيْئُ لَهُمْ نَفْسِي فَهَمْ يُكْرِمُونَهَا وَلَنْ تُكْرِمَ النَّفْسُ الَّتِي لَا تَهْنِئُهَا  
ورحم الله شوقي حين قال :

قم للمعلم وفِّهِ التبجيلا كَادَ المعلمُ أن يكون رسولا

وروى الترمذی عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال :

« الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا وَالَاهُ ، وَعَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا » .

وقيل : قال النبي ﷺ : « سَأَلْتُ جِبْرِيلَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ :  
طَلَبُ الْعِلْمِ ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : زِيَارَةُ الْعُلَمَاءِ » .

وروى الترمذی عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ خَرَجَ فِي  
طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ » .

ومن مظاهر تشجيع الإسلام على العلم أن الرسول ﷺ في غزوة بدر سمح للأسرى  
الأغنياء بالفدية بالمال ، ومن لم يستطع أطلق سراحه بلا مقابل ، كما افتدى بعضهم  
نفسه بتعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة ، وكانت هذه البادرة إشارة طيبة  
إلى اعتناء الإسلام بالعلم والحرص على طلبه ، والحرص على إدراكه بكل وسيلة .

ومن طريف ما يروى : أن رجلاً من ثقيف دخل على الوليد بن عبد الملك ، فقال له  
الوليد : أقرأت القرآن « قال الأعرابي : لا يا أمير المؤمنين ، أمور شغلتنني عنه . قال  
الوليد : أتعرف الفقه ؟ قال الأعرابي : لا . قال الوليد : أفرويت من الشعر شيئاً ؟  
قال الأعرابي : لا . فأعرض الوليد عن الأعرابي . فقال أحد الجالسین : يا أمير  
المؤمنين وأشار إلى الرجل . قال الوليد : اسكت فما معنا أحد .

أى أن الذى لم يقرأ القرآن ، ولم يعرف الفقه ، ولم يرو الشعر ، ولم يدرس الدين ، يكون كالعدم لا وجود له ولا اعتبار ، وإن كان موجوداً بشخصه ، وحاضراً بذاته<sup>(١)</sup>.

ثانياً: سعى المرأة المسلمة إلى التعلم والتعليم :

(أ) عهد النبوة والعهود التالية :

لقد أمر الله تعالى نساء النبي ﷺ بالتعلم والتعليم مساهمة في نشر دين الله ، قال تعالى :

﴿وَأَذْكُرَكُمَايَتْلِي فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًاخَبِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>

وكان النبي ﷺ ينيب السيدة عائشة رضى الله عنها في شرح المراد من حديثه لمن لاتعى مايقوله الرسول ﷺ ، مما في تصريحه إحراج للسائلة ، كما حدث عندما سألتها امرأة من الأنصار عن غسلها من الحيض ، فأراها الرسول ﷺ كيف تغتسل ، ثم قال لها : خُذِي فِرْصَةً مِنْ مِسْكِ فَتَطَهَّرِي بِهَا . فقالت السائلة : كَيْفَ أَنْظَهَّرُ بِهَا ؟ فأفهمتها السيدة عائشة بوضع القُطْنَةِ المَطْيِيَّةِ بالمِسْكِ في الْمَكَانِ الذى يخرج منه دَمُ الْحَيْضِ إِنْتِمَاءً لِلطَّهَارَةِ .

وقد سعت المرأة المسلمة إلى العلم منذ بداية عصر النبوة .

ورُوى أَنَّ النساءَ كُنَّ يَحْتَشِدْنَ لِسَمَاعِ النَّبِيِّ ﷺ ويحضرن الصلاة الجامعة معه من أجل التعلم .

ونظراً لأن صلاة المرأة في بيتها أفضل من الصلاة في المسجد ، من أجل عدم الاختلاط والتزاحم ، فقد خصص النبي ﷺ لهن باباً يسمى حتى الآن في مسجد الرسول «باب النساء» .

(١) عيون الأخبار ، لابن قتيبة .

(٢) سورة الأحزاب - الآية ٣٤ .

فعن أبي سعيد الخدري ، رضى الله عنه ، قال :

قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ ﷺ :

« غَلَبْنَا عَلَيْكَ الرَّجَالَ ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ نَأْتِكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ الله . » فقال لهم الرسول : « اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فِي مَوْضِعٍ كَذَا » فاجتمعن فأتاهن النبي ﷺ فوعظهن وأمرهن وعلمهن مما علمه الله (١) .

وفي حديث البخارى عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءَ الْأَنْصَارِ ، لَمْ يَمْنَعْنَهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ » (٢) .

وكانت المرأة المسلمة فى العهود التالية لعهد الرسول ﷺ وصحابه ، على جانب كبير ودراية بالعلم فيما ينفعها فى دينها ويحفظ عليها سمعتها ونقاءها ، وبها يسهل لها للحياة الزوجية الكريمة ، كما كانت على صلة قوية بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

ويصف شوقى أمير الشعراء ذلك فيقول :

|                        |                               |
|------------------------|-------------------------------|
| ينقصُ حقوقَ المؤمناتِ  | هذا رسولُ الله لم             |
| لنساءه المتفقهاتِ      | العلمُ كان شريعةً             |
| سَّة والشئون الأخرىاتِ | رُضنَ التجارة والسياتِ        |
| لجُج العلوم الزخراتِ   | ولقد علنتِ ببناتِه            |
| نيا وتمزأ بالرواةِ     | كانتْ سَكِينَةُ تملأُ الد     |
| آى الكتابِ البيناتِ    | رَوَتِ الْحَدِيثَ وَفَسَّرَتْ |

وعن أبي مالك الأشعرى قال :

« يا معشر الأشعرين ، اجتمعوا واجمعوا نساءكم وأبناءكم حتى أريكم صلاة رسول

(١) شرح صحيح البخارى للكرمانى ، ج ٢ .

(٢) المصدر السابق .

الله ﷺ . فاجتمعوا وجمعوا أبناءهم ونساءهم ، ثم توضع أراهم كيف يتوضأ ، ثم تقدم وصفاً الرجال في أدنى الصف ، وصف الولدان خلفهم ، وصف النساء خلف الصبيان <sup>(١)</sup>

فكان هناك في الصدر الأول من الإسلام مثقفات فضليات ، وفيهن من يفضل الكثير من رجال المسلمين ، كأمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ . وكان من النساء من دخل في عداد الصحابة الذين عُرفوا بالإفتاء ، فيقول الأستاذ الشيخ «خلاف» في كتابه (علم أصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامى) : «إن عدد من عُرفوا من الصحابة بالإفتاء مائة ونيف وثلاثون ما بين رجل وامرأة» . وفي تاريخنا كثير من العالمات في الحديث والفقه والأدب وغير ذلك .

#### (ب) أمثلة من النساء العربيات المتعلمات:

ذكر البلاذرى في كتابه (فتوح البلدان) أمثلة كثيرة من النساء العربيات المسلمات اللواتي تعلمن القراءة والكتابة والنحو ، وروين الحديث ، وكن يعلمن غيرهن ، وكان مما درس على النساء بعض مشاهير الرجال .

- فالحافظ بن عساكر يروى الحديث عن أكثر من ثمانين امرأة .

- وروى أن «الشفاء العدوية» - من قبيلة بنى عدي ، رهط عمر بن الخطاب - طلب إليها النبي ﷺ أن تعلم زوجته أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب تحسين الخط وتزيين الكتابة .

- وكانت أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر ، وأم المؤمنين أم سلمة - رضى الله عنهما - تقرأن وتكتبان .

ويروى عن أم الدرداء الفقيهة الزاهدة حضها على العلم وتفضيله على كل ما سواه فتقول :

---

(١) أخرجه أحمد وابن أبى عبيدة (انظر : الدين الخالص ، ج ٣) .

« لقد طلبتُ العبادة في كل شيء ، فما أصبتُ لنفسي شيئاً أسفى من مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ ومذاكرتهم » . ولقد وصفها النووى في كتابه «تهذيب الأسماء» بقوله : «اتفقوا على وصفها بالفقه والعقل والفهم» . وقد عاشت في أيام معاوية ، وكانت تقيم ستة أشهر في بيت المقدس ، وستة أشهر في دمشق .

واشتهرت طبيبة بنى عواد بالطب في الجاهلية والإسلام ، فكانت - فضلاً عن معالجة الأبدان - تُحسن طب العيون والجراحة .

كل هذه الأمثلة تعطينا مدى التصور العام للثقافة التي يمكن أن تخوضها المرأة المسلمة .

#### (ج) لا تظلموا الإسلام :

إن تخلف المرأة علمياً في الجيل الماضى لم يكن الأصل فيه محاربة الإسلام لتعليم المرأة ، وإنما كان مظهرًا من مظاهر الجهل وسوء فهم حقيقة الإسلام الذى جاء أصلاً لِيُنِيرَ الْعُقُولَ ، ويُهْدِبَ النفوس ، ويُخْرِجَ الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان والعلم .

وصدق الله عز وجل حيث يقول :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾<sup>(١)</sup>

وقد بينَّ الله لنا الآيات لعلنا نتفكر :

﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>

وتكرر قوله تعالى عدة مرات :

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) سورة الأنعام - من الآية ٥٠ . (٢) سورة البقرة - من الآية ٢٦٦ .

(٣) سورة الرعد ، من الآية الثالثة - وسورة الزمر ، من الآية ٤٢ - سورة الجاثية ، من الآية الثالثة عشرة . وسورة الروم من الآية الحادية والعشرين .

فلا تظلموا الإسلام بأنه سبب تخلفنا ، فالإسلام مفترى عليه .

يقول الشاعر الحكيم معروف الرصافي :

يقولون في الإسلام ظلماً بأنه    يَصُدُّ ذَوِيهِ عَنِ طَرِيقِ التَّقَدُّمِ  
فإن كان ذا حَقًّا فكيف تقدمت    أوائلُهُ في عهدِها المتقدِّمِ ؟  
وإن كان ذَنْبُ المسلمِ اليومَ جَهْلُهُ    فماذا على الإسلامِ مِنْ جَهْلِ مُسْلِمٍ ؟

ثالثاً : ما يجب أن تتعلمه المرأة :

لقد كان من الأهداف الكبرى للرسالة المحمدية - على صاحبها أفضل الصلوات  
وأتم التسليمات أن : يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيَهُمْ حيث يقول الله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ  
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾<sup>(١)</sup>

وقال تعالى :

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ  
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا  
مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾<sup>(٢)</sup>

والمعرفة نوعان ، نوع من صنع الله عز وجل ، وهو الشطر الإيماني للمعرفة ،  
ونوع من كسب الإنسان عن طرق العقل ، وهو الشطر المادى للمعرفة ، فأما النوع  
الذى هو من صنع الله فهو ما أوحى به الله عز وجل إلى رسوله الكريم ، عليه الصلاة  
والسلام ، وهى المبادئ الخاصة بالعقيدة والأخلاق والتشريع ، والقوانين التى ينتظم

(١) الآية الثانية من سورة الجمعة .

(٢) سورة آل عمران - الآية ١٦٤ .

بها المجتمع أفرادًا وجماعات ، وهى علوم الدين ، وجوهر كل ذلك هو التوحيد .  
وأما النوع الذى هو كسب الإنسان عن طريق العقل فمعرفة تتأتى عن استنتاج العقل من نتائج وسائل المعرفة ، وهى الملاحظة والتجربة والاستقراء ، وهذا النوع من المعرفة هو مظهر الحضارة المادية ، وهو علوم الدنيا ، كالطب والهندسة والزراعة .  
لذلك يجب على المرأة المسلمة ، وعلى كل إنسان مسلم أن يجمع بين نوعى المعرفة فى توازن واعتدال .

فإن من علامات الساعة التى ذكرها رسول الله ﷺ فى حديث شريف : « أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ » والعلم المقصود هنا هو العلم بالله ، أى العلم بالأساس الأول للعقيدة والخير والحق . وعلى أى الأحوال فإن التعليم الحقيقى هو إزالة أمية الحياة ، وإزالة الجهل بالسلوك الإنسانى السليم .

#### (أ) فرض عين وفرض كفاية :

يقول الإمام الشيخ محمد عبده :

« إن ما يجب على المرأة المسلمة أن تتعلمه من عقائد دينها وآدابها وعبادته محدود ، ولكن ما يطلب منها أن تتعلمه لنظام بيتها وتربية أولادها ونحو ذلك من أمور الدنيا - كأحكام المعاملات - يجب ألا يكون محدودًا .

أى الأمرين أفضل فى نظر الإسلام ؟

أتمريض المرأة لزوجها إذا هو مرض أم اتخاذ ممرضة أجنبية تطلع عليه وتكشف من أحواله مالا يجب هو أو دينه أن تراه ؟

وهل يتيسر للمرأة إذا كانت جاهلة بفنون الطب والتمريض أن تُمَرَّص زوجها ، أو تقوم بتربية أبنائها تربية تحفظ عليهم صحتهم وعقولهم ؟ » .

إن كلمة الإمام الشيخ محمد عبده فيما يجب أن تتعلمه المرأة توضح أن التعليم الذى يوجبه الدين على المرأة ليس مقصوراً على تعليم العقائد والآداب ، والعبادات فقط ،

وإنما يتناول كل مناحى الحياة التى تتصل بها وتستطيع القيام بأعبائها . كما يجب على كل إنسان مسلم أن يتعلم كل ما يتصل بأمور دينه وأمور دنياه . وقد أوضح العلماء أن ما تتعلمه المرأة نوعان :

فرض عين : وهو الذى تتعلم به أسس وقواعد العبادات والعقائد والسلوك الإسلامى العام ، وأسس تربية الأولاد وتدبير المنزل .

فرض كفاية : وهو نوع التعليم الذى نحتاج إليه الأمة من طبيبات لأفراض النساء والأطفال ، وحكيما وممرضات ، ومدرسات لتعليم البنات ، إلى غير ذلك من أنواع التعليم الذى يلزم للمرأة .

فيجب على المرأة المسلمة أن تتجه بثقافتها وتعليمها إلى ما يخدم وظيفتها الطبيعية ، وهى رعاية البيت ورعاية الأولاد دينياً وثقافياً ، واجتماعياً وعلمياً ، وغذائياً وصحياً . فالوظيفة الطبيعية للمرأة فى البيت هى تربية الأجيال ، وتربية الأبناء والبنات على الخلق القويم ؛ ليكون البيت المسلم صورة مشرفة يفخر ويعتز بها كل إنسان ، ويقول الشاعر الحكيم :

الأم مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعَدَّدَتْهَا      أَعَدَّدَتْ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَغْرَاقِ

فالأم فى بيتها مُربية ومُعَلِّمة ، والأم المتعلمة أقدر على متابعة أولادها وإدراك حاجاتهم النفسية والعقلية . كما أن المرأة المتعلمة أقدر على تفهم الحياة وطبيعة المجتمع ، والقيام بدور فى سبيل المشاركة فى نموه وارتقائه وسعادته .

وتقول باحثة البادية «مَلَك حَفْنَى نَاصِف» فى محاضرة ألقته ونشرتها مجلة المنار : «إن الأم مهما تعلمت ، وبأى حرفة اشتغلت ، فلن ينسبها ذلك أطفالها ، أو يفقدها عاطفة الشفقة والأمومة ، بل العكس ، إنها كلما تنورت أدركت مسئوليتها » .

« العلم منير للعقل على أى حال ، سواء عمل به أو لم يعمل ، ولو لم يكن للعلم لذة فى ذاته لما اشتغل بتحصيله الملوك وهم واثقون أنهم لن يكونوا مهندسين ولا تجاراً .

« إن المدارس مهما اجتهدت في تثقيف عقول النشء أو تهذيبها فإن للمنزل تأثيرًا خاصًا على الأطفال » .

### (ب) على المرأة أن تتعلم ما يؤهلها لوظيفة الزوجة والأم :

لاشك أن الطبيعة إذ فرقت بين الرجل والمرأة أرادت أن يكون للرجل اختصاص في الحياة غير اختصاص المرأة ، وما اختلاف التكوين الجسدى لهما إلا ليتجه كُلُّ منهما إلى ما أُعِدَّ له ؛ ولذا فمن الأسلم والأليق بفطرة الحياة أن تثقف المرأة في مهمتها التى أعدتها لها الطبيعة . فيجب أن توزع المعارف والعلوم على الذكر والأنثى بحسب الاستعداد الخلقى الذى حددت به الطبيعة لكل منهما مهمته في الحياة .

إن المرأة تُخلقت لتكون زوجة وأمًا ، هكذا فطرها الله :

﴿ فَطَرَتُ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهَا لِخَلْقِ اللَّهِ <sup>(١)</sup> ﴾

وفي إرادته - سبحانه وتعالى - الخير كله . فيجب أن تثقف بثقافة الزوجة والأم ، وتعلم من المعارف ما يزكى فيها قانون الزوجية وقانون الأمومة ، ويجب عليها أن تتعلم كيف تسوس الطفل ، ليس فقط سياسته في رضاعه وطعامه وشرابه ولباسه ونومه ومرضه ، ولكن سياسة عقله وخلقه ؛ فالطفل جهاز حي لا قِطُّ بغير وعى - لكل ما يبدو من أمه من سمات الفكر والخلق .

على المرأة أن تتعلم من المعارف ما يجعل سلوكها سياسة تربوية مرتبة للإحياء بأقوم مناهج الفكر والخلق .

إن الأنوثة ليست مجرد أعضاء تختلف بها المرأة عن الرجل ، إنما هى قبل ذلك قوانين روحية ، ومواهب واستعدادات تتباين بها إنسانيتها من إنسانيتها ، ومزاجها النفسى من مزاجه النفسى ؛ لتؤدى للحياة أئمن وأجل الوظائف ، وظائف الزوجية والأمومة .

---

(١) سورة الروم - من الآية ٣٠ .

فإذا كانت ثقافة البنت دائرة حول إعدادها زوجة صالحة ، وأماً راشدة ، فذلك اختصاص طبيعتها ، وفيه الخير كل الخير .

أما أن تلحق الفتاة بكليات الهندسة والزراعة والفلك والحقوق والفلسفة وما شابهها ، فلن تجنى منه إلا أنها خرجت من نطاق الأنوثة التي خصتها بها الطبيعة إلى استرجال هي أول من ينكره ، ولن نستطيع أن نعى ذلك إلا إذا بلغنا من الإدراك ما نفقه به الأهداف التي أرادها الخالق سبحانه وتعالى بخلق الأنثى ، وزودها من أجلها فيما زودها به من خصائص نفسه وإنسانية .

إن شيئاً من تلك العلوم ليس محرماً على البنت في الإسلام ، ولكن المصلحة أن تدرس ما يعود عليها بالمنفعة في مهمتها الأصلية .

إن العلم المطلوب هو العلم بدينها ، وكل معرفة تنير ذهنها ، وتُقَوِّم ضميرها ، وتصلها بآفاق الحياة العامة ، وتبصرها بأصول مهمتها وأهداف زوجيتها وأمومتها الروحية والاجتماعية ، وواجبها في توفير الظروف الحسية والنفسية لعمل كُلِّ من قُنُونِي الزوجية والأمومة ، ومن حقيقة إنسانيتها ورسالتها التي يجب أن تحققها في الحياة<sup>(١)</sup> .

ومن ناحية أخرى فإنه يجب على الزوج أن يُفَقِّه زوجته في أمور دينها ، خصوصاً بالنسبة لأحكام الطهارة ، وما يتعلق كذلك بالحيض والنفاس ، وإلا فإنها ستكون جاهلة بأهم أمور دينها ، على أن يكون الزوج نفسه قدوة طيبة لزوجته في كل سلوك إسلامي ، والتمسك بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ .

قال أهل العلم : ومتى كان الرجل قائماً بتعليم ما يجب لزوجته امتنع عليها الخروج لسؤال العلماء ، وكذا إن أناب عنها في السؤال وعَرَفَهَا الجواب ، فإن لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال ، بل واجبٌ عليها ذلك ، ويعصى الرجل بمنعها .

وإذا أهملت المرأة حكماً من الأحكام الواجبة ولم يعلمها الرجل إياه شاركها في الإثم ، وصدق الله العظيم إذ يقول :

---

(١) الإسلام والمرأة المعاصرة للبهى الخولى (بتصرف) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾<sup>(١)</sup>

فالزوج مكلف تعليم زوجته جميع ذلك .

ويقول تعالى :

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾<sup>(٢)</sup>

فأول واجبات الرجل المسلم أن يحول بيته إلى بيت مسلم ، وأن يوجه أهله إلى أداء الفريضة التي تصلهم بالله ، فتوحد اتجاههم العلوى في الحياة ، وما أجمل الحياة في رحاب بيت أهله كلهم يتجهون إلى الله . .

وعموماً ، فإن العلوم التي يمتدحها الإسلام ويحث عليها هي العلوم التي توصل إلى الحق سبحانه وتعالى ، وتوصل إلى الصراط السوى في السلوك . . وتوصل إلى الحق سبحانه وتعالى عن طريق كتاب الله ، وعن طريق التدبر والنظر المتأمل في هذا الكون العظيم الذى يدل على عظمة خالقه جل وعلا .

وبتدبر كتاب الله ، والعلوم القرآنية - علوم الدين ، والعلوم الشرعية والعقيدية التي تبصر الإنسان المؤمن بكتاب الله - يزداد إيمان الإنسان ، كما تزداد استقامته في سلوكه ، ويوصل إلى الصراط السوى في السلوك عن طريق الهداية الإلهية التي جاءت بها رسالة القرآن ، إذ تضمنت ما ينهى الله عنه ، وما يأمر الله به .

وبجانب كتاب الله - للتعرف على المولى الحق سبحانه وتعالى - يوجد كون الله الذى نعيش فيه ، يوجد الإنسان فى خلقه وتركيبه ، وتوجد الأرض ، والبحار ، والسماء ، والكواكب ، والجبال ، والسهول ، والأمطار ، والأنهار ، والآبار ، والزراعة ، والأنعام ، والحديد ، والصناعة . . الخ .

والله - سبحانه - إذ يطلب عن طريق الرسول - عليه الصلاة والسلام - إلى الناس أن

(١) سورة التحريم - من الآية السادسة .

(٢) سورة طه - من الآية ١٣٢ .

يؤمنوا بها في كتاب الله ، يطلب إليهم في الوقت نفسه أن ينظروا إلى مافي الكون من نظام وتدبير ونعم لا تُعدُّ ولا تُحصى ، وأن ينظر الإنسان ويتفكر في خلقه .

وبالنظرة إلى الكون نشأت جملة من العلوم ، علوم إنسانية ، وعلوم اجتماعية ، وعلوم طبية ، وعلوم فلكية . . إلخ . علوم تبحث في هذا الكون وتنتهى في بحثها إلى الإيمان بالله العظيم ، قادر ، حكيم يُحكِّم تدبير خلق هذا الكون ، ويمسك نظامه . وهكذا فعلم الكون توصل إلى الإيمان بالله .

وتقديراً لنوعى العلم : الدين والكون يقول النبي ﷺ في علم الدين :  
« مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه في علم الكون :  
[ مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ] .

ويقول ابن قيم الجوزية في كتابه ( إعلام الموقعين عن رب العالمين ) :  
« إِنَّ مَا يَجِبُ أَنْ يَتَنَافَسَ فِيهِ الْمُتَنَافِسُونَ الْمُسْلِمُونَ هُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ  
اللَّذَانِ لَا سَعَادَةَ لِلْعَبْدِ إِلَّا بِهِمَا ، وَاللَّذَانِ بِسَبَبِهِمَا انْقَسَمَ النَّاسُ إِلَى مَرْحُومٍ وَمَحْرُومٍ » .  
ولما كان العلم للعمل قريباً وشافعاً كان أفضل العلوم هو التوحيد ، ولا سبيل إلى اقتباسه إلا من حياة الرسول ﷺ .

وقال الإمام الشافعى رحمه الله : « مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ عَظُمَتْ قِيَمَتُهُ ، وَمَنْ نَظَرَ فِي الْفَقْهِ نَبَّلَ قَدْرُهُ ، وَمَنْ كَتَبَ الْحَدِيثَ قَوِّيتْ حُجَّتُهُ ، وَمَنْ نَظَرَ فِي اللُّغَةِ رَقَّ طَبْعُهُ ، وَمَنْ نَظَرَ فِي الْحِسَابِ جَزُلَ رَأْيُهُ » .

رابعاً : يجب أن يكون التعلم والتعليم باسم الله :

(أ) اقرأ باسم ربك :

لم يكن مصادفة أن تكون أول كلمة نزلت وحياً من الله عز وجل على قلب رسوله الكريم محمد ، ﷺ هي كلمة : «اقرأ» في سورة العلق .

ولقد كانت دعوة رسولنا ﷺ هي ما جاء في قوله تعالى :

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾<sup>(١)</sup>

وقد كرم الله عز وجل العلماء ، ورفع من منزلتهم في قوله تعالى :

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾<sup>(٢)</sup>

ويقول عز وجل أيضًا :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾<sup>(٣)</sup>

وفي هذه الآية الكريمة تقول حاشية الصاوي على الجلالين : المعنى : « إنها يعظم من العباد العلماء ، وإنها كان ذلك لكونهم أعرف الناس بربهم ، وأتقاهم له » .

لذلك فإن سمة الإسلام منذ ميلاده هي سمة العلم ، وكيف لا ، ومن تساوى يومه فهو مغبون ، ومن لم يكن إلى زيادة فهو إلى نقصان ، وهل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ . . إن مداد العلماء المتقين ليوزن في ميزان الخير والحسنات بدم الشهداء ، فيرجح مداد العلماء . والعلماء هنا هم أهل المعرفة بسنن الله في الكون وفي الناس ، فتشمل العلم العام بكل فروعه . وقد حث الإسلام على العلم ، قال ﷺ :

« مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ . وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، وَحَتَّى الْحَيَّاتَانِ فِي الْمَاءِ ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ »<sup>(٤)</sup> .

(١) سورة طه - من الآية ١١٤ .

(٢) سورة المجادلة - من الآية الحادية عشرة .

(٣) سورة فاطر - من الآية ٢٨ .

(٤) رواه أبو داود والترمذي .

لذلك اندفع المسلمون الأوائل إلى البحث في جميع ميادين الحياة الروحية والعقلية والمادية ، ونشأ عن ذلك حضارة إسلامية عظيمة أنتجت أمثال جابر بن حيان في الكيمياء ، وابن الهيثم في الطبيعيات ، وأبو بكر الرازي في الطب ، وابن سينا في الطب وفي الفلسفة ، والغزالي في الجانب الروحي ، وابن رشد في الفلسفة العقلية ، وابن خلدون في الاجتماع والتاريخ ، وكثير غيرهم من علماء المسلمين ..

إن الله سبحانه وتعالى قد امتنَّ علينا في آيات كثيرة من القرآن الكريم بأنه عز وجل سَخَّرَ لَنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، وَسَخَّرَ لَنَا الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَيْنَهُمَا .

وهذا الامتنان هو دعوة صريحة إلى المسلمين ليستجيبوا للتوجيه الإلهي فَيَسْخَرُوا كُلَّ ذَلِكَ بِالْعِلْمِ والملاحظة والتجربة لنفع الإنسانية . والقرآن الكريم وهو يدعو إلى تسخير العلم المادى فى أى مجال يوجه الإنسان إلى أن يكون هذا العلم المادى فى طريق الله وباسم الله .

فإن الأمر الإلهي بالثقافة والعلم فى قوله تعالى : « اقرأ » اشترط أن تكون القراءة والعلم باسم الله :

﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾<sup>(١)</sup>

لذلك فإنَّ الهدف الأول للعلم فى الإسلام - سواء للإنسان المسلم أو الإنسانية المسلمة - هو إرضاء الله تعالى ، وإسعاد الفرد ذاته وأسرته ومجتمعه ، والإنسانية جمعاء .. هذا هو العلم الذى يدعو الله ورسوله إليه .

فإذا تجردت القراءة ، وتجردَ العلم ، وتجرد التعلم لله تعالى ، وكان هدفه الأول والأخير هو ابتغاء وجه الله تعالى ، مصدر الخير والنور ، كان خيراً ، وكان نوراً فى جميع الأرجاء والأزمان .

كما أن الإسلام وهو يوجه الإنسان إلى العلم المادى فى طريق الله لا يقف عند ذلك ، وإنما يوجه الإنسانية أيضاً إلى مصدر آخر للعلم والمعرفة ، وهو القلب والروح

(٢) الآية الأولى من سورة العلق .

والبصيرة . فالإسلام يوجه الإنسانية إلى المعرفة الإشرافية أو الكشفية أو الإلهامية ، وذلك في قوله تعالى :

﴿ إِن السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾<sup>(١)</sup>

فالسمع والبصر هما أساس العلم المادى ، القائم على التجربة والملاحظة ، أما الفؤاد فهو أساس العلم الإلهامى . . إن الله سبحانه وتعالى يوجه المسلم إلى الملاحظة والتجربة ، ويوجهه أيضًا إلى الاستشراف للهداية والنور القلبي عن طريق الخلق الكريم ، والتقوى ، والإخلاص وحب الإنسانية ، والمعاونة فى الخير .

فالإسلام يجعل العلم أساساً للخير والسعادة البشرية ، ويجعل العلم فى إطار الأخلاق ، وبذلك يكون العلم قُرْبَى وعبادة إلى الله . فليكن ما تتلقينه أيتها الفتاة المسلمة من علم دينى ودنيوى باسم الله ، وفى إطار ما جاء بكتاب الله وسُنَّة رسوله ، وليس باسم حضارة المادة والجنس ، حضارة الغرب التى تسير على مبدأ أن العلم لا صِلَّة له بالأخلاق .

أما ما تنادى به بعض الكاتبات المعاصرات من وجوب تعليم الفتيات والفتيان لأصول العلاقات الجنسية ، وتشجيع التحرر الجنسى الكامل للشابات والشباب بادعاء العلم - كما هو الحال فى الغرب - فستكون نتيجة الوصول بالعلاقات الجنسية الشريفة إلى درجة الإسفاف والابتذال ، وبالأسرة إلى التفكك والانحيار ، وبالمراة إلى الامتهان والإذلال . فلتحذرى أيتها الفتاة المسلمة هذه الأبواق الضَّالَّة المُضِلَّة ، ولتكشفى حقيقة تلك الشعارات الكاذبة التى هدفها الأساسى القضاء على مقومات ومبادئ المجتمع الإسلامى الطاهر الشريف .

**(ب) يجب أن يكون كل شىء باسم الله :**

والقرآن الكريم لا يقصد بأول آية نزلت من وحى الله وهى قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ لا يقصد القراءة فحسب ، والتعليم والتعلم فحسب ، وإنما التعلم والقراءة رمز

(١) سورة الإسراء - من الآية ٣٦ .

لكل ما يفعله الإنسان - ذكراً كان أو أنثى - في الجانب الإيجابي ، وكل ما يتركه الإنسان في الجانب السلبي .

آيتها الفتاة المسلمة : اقوى باسم ربك . . تحركى باسم ربك . . اعلمي باسم ربك . كل شئ باسم الله افعليه واتيه ، وكل شئ لا يكون باسم الله لاتفعليه ولا تأتبه ،  
نما في قوله تعالى :

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ<sup>(١)</sup>﴾

فكل ما لم يذكر اسم الله عليه فهو فسق . وكل شئ لا يكون لوجه الله فهو فسق .  
آيتها الفتاة المسلمة : لو التزمت بذلك فستكونين على قمة الإخلاص والإحسان ،  
وعلى قمة التقوى والصدق .

ومادامت الحياة كلها لله ، فليس هناك مجال للكذب والرياء والنفاق والخديعة ،  
إرادة غير الله تعالى بالأعمال .

ولذلك وضع الله تعالى الغاية من خلق الإنسان في قوله تعالى :

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ<sup>(٢)</sup>﴾

لذلك يجب أن يكون تعليمك وتعلمك ، وأن تكون حياتك في كل اتجاهاتها عبادة  
لله ، وأن تبغى بأعمالك كلها وجه الله . وصدق رسول الله ﷺ حين يقول :

[ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ]<sup>(٣)</sup> .

فإذا كانت كل أعمالنا وأقوالنا لله عز وجل فسنسمو حتى نصل إلى أن تكون حياتنا  
كلها - من علم وعمل وقراءة وكتابة ، وكل نواحي الحياة - عبادة لله الواحد القهار :

(١) سورة الأنعام - من الآية ١٢١ .

(٢) سورة الذاريات - الآية ٥٦ .

(٣) حديث متفق عليه .

﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾<sup>(١)</sup>

فيجب علينا أن نبدأ كل شيء باسم الله ، والبداء باسم الله هو الأدب الذي أوحى الله لنبيه ﷺ ، فالله سبحانه هو الموجود الحق ، الذي يستمد منه كل موجود وجوده ، ويبدأ منه كل مبدوء بدؤه ، فباسمه يكون كل ابتداء ، وباسمه تكون كل حركة وكل اتجاه ، فإليه سبحانه المرجع والمآل ، وهو سبحانه المستحق لأن يُستعانَ به في مجامع الأمور ، فهو المعبود بحق ، وهو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها ، سبحانه وتعالى ، مالك الملك ذو الجلال والإكرام .

**أمر يجب أن تراعيها المعلمة والمربية :**

**(أ) الأسوة السلوكية :**

أيتها الفتاة المسلمة ، إذا كان يجب عليك أن يكون تعليمك في طريق الله وقرأاتك وكل أعمالك باسم الله ، فيجب عليك أيضًا - وأنت أم ومربية - أن يكون تعليمك لأولادك وتعليمك لجيل من بنات جنسك في طريق الله ، وباسم الله ، وذلك بأن تكوني الأسوة السلوكية الحسنة ، وتكوني مثلاً يُحتذى لأولادك وبنات جنسك ، فالعلم لابد أن يسير إلى تطبيق عملي ، والتطبيق العملي لكي يكون سليماً ويؤتي ثماره لابد أن نكون هناك الأسوة السلوكية ، ولابد أن يجد الأولاد في الأم والمعلمة الأسوة الحسنة حتى يكون العلم مطابقاً للسلوك وليس منفصلاً عنه ؛ لأنه إذا انفصل العلم عن السلوك فستكون الطامة الكبرى ، وسيكون الجهد مضاعفاً . وحيث إن التقليد عنصر من عناصر العلم فستتعلم البنت عن طريق التقليد السلوك الخاطيء من أمها أو مربيتها .

إن البنت التي تتعلم من أمها أو مربيتها أن السفرور والخلاعة هي الشيء الطبيعي ، وأن الذهاب «للكوافير» من علامات الرقي والتحضر ، وأن إهمال الصلاة لشيء فيه ،

(١) سورة الأنعام - الآيات ١٦٢ ، ١٦٣ .

ستنطبق هذه التصرفات وهذا السلوك في أعماقها ، فإذا جئنا بعد ذلك محاولين تعليمها سلوك وأخلاق الإسلام الخفيف لتكون الفتاة المسلمة الملتزمة التي تفخر وتعزّز بعقيدتها ودينها قولاً وسلوكاً فإنه سيلزم حينئذ أن يؤدي العِلْمُ - وهو وسيلة للتربية - مرحلتين :

\* مرحلة علاج الجهالة ، بإزالة المعلومات الخاطئة والسلوك المنحرف الذي تعلمته نتيجة التقليد .

\* ثم مرحلة إزالة الأمية ، وذلك بتعليم القواعد الصحيحة والأساس السليم للسلوك الإسلامى .

يقول تعالى :

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ۖ ﴾<sup>(١)</sup>

ويجب أن نلاحظ أن قصارى ما فى علوم الدنيا - كالطب أو الهندسة أو الزراعة - أن نقوم معلمتها بتوصيل المعلومات إلى ذهن الطالبة ، ثم بعد ذلك فإن الطالبة نفسها ستقبل عليها وتتمسك بها وتستزيد منها ؛ لأنها ستفيدها فى مسائل دنياها . أما علم الدين فالطالبة لاتتلقى مجرد الإيمان بالله ، وإنما تطالب بعد إيمانها بأن تفعل بعض أشياء ولاتفعل أشياء أخرى ؛ لذلك فليس كافياً من المعلمة أن تعلم الدين وأحكامه ، ولكن عليها أن تحمل نفسها على أداء ما يطلب منها الدين حتى تكون مثلاً يحتذى .

فعلم الدين إذن فيه كلامٌ يُقال ، وفيه من جانبٍ آخر سلوكٌ يُفَعَّل ويُوَدَّى ، ولكى يتمو الدين وتحقق ثماره فلا بد على مَنْ تتعلمه أن تطبقه حتى نجد التى تُعَلَّم وتطبق تعاليمه فى الوقت نفسه .

فالأزمة بالنسبة للإسلام ليست أزمة علم به ، وإنما أزمة تطبيق له ، ويرجع إخفاق تدريس مناهج التربية الإسلامية إلى أن علماء التربية جعلوا الإسلام علماً كبقية العلوم ، يكفى فيه إيصال المعلوم إلى المتعلم .

(١) سورة النحل - من الآية ٧٨ .

فهذا وحده لا يكفي ؛ لأنه بالإضافة إلى العلم يُطلب منه أن يخضع سلوكه لما يُطلب منه ، بما في ذلك افعَلْ كذا ، ولا تفعلْ كذا .

فالإخفاق ليس في العلم ، ولكن في التطبيق ، حيث سيؤثر في النفس اختيار حركة عن حركة ، واختيار سلب عن إيجاب . وعليه فيجب على مَنْ يُعَلِّم أن يكونَ مُطَبِّقًا لما يُعَلِّمُهُ حتى توجد الأسوة الحسنة في السلوك .

وعلة المشكلة أننا نعنى بالعلم ولانعنى بنموذج التطبيق السلوكي ، مما يطبع النشء في قضية الدين على أن هناك عِلْمًا يُعَلِّم فقط ولا مدلول له غير هذا ، وسلوكًا يحكم ، فمسئولية العالم كبيرة وجسيمة ، وأن العالم إذا زَلَّ زَلٌّ بَزَلَّتْهُ عَالَمٌ . وشنع الله تعالى على ذلك بقوله :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ \* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾<sup>(١)</sup>

وقد صور الرسول ﷺ موقف العالم الذي يأمر الناس بالخير ولا يقوم بأدائه تصويرًا معبرًا فيما رَوَى عن أسامة بن زيد ، رضى الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْطَابُ بَطْنِهِ ، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ فِي الرَّحَا ، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ : يَا فُلَانُ ، مَا لَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ » .

ومن الآثار الواردة فيما يتصل بقارئ القرآن الذي لا يعمل بما قرأ ، قول بعض السلف : « رَبِّ تَالِ لِلْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ يَلْعَنُهُ » . يَقُولُ : أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ » .

وفي الحديث الصحيح : [ الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ ] .<sup>(٢)</sup>

(١) سورة الصف - الآيات : ٢ ، ٣ .

(٢) رواه الشيخان .

كل ذلك يوضح لنا مدى أهمية الأسوة السلوكية ومدى أهمية أن تكون الأم والمربية والمعلمة مثلاً يُحتذى ، وأسوة حسنة لأولادها وتلميذاتها ، علماً وعملاً ، وتطبيقاً وسلوكاً .

### (ب) يجب ألا ينفصل العلم عن الله :

كما يجب على المرأة المسلمة وهي تُعلم جيلاً من الفتيات وتربيهن ألا تغفل دينها عن منهج تربيتها في أى مادة من المواد ، وفي أى فن من الفنون : في الطبيعيات ، وفي الكيمياء ، وفي الجغرافيا ، وفي التاريخ ، وفي علم النبات ، وفي علم الحيوان ، وفي علم الفلك ، وفي كل أنواع العلوم والفنون ، وذلك حتى لا ينفصل العلم الذى يُعلّمه المربون والمربيات في أى لون من ألوانه عن الله عز وجل .

والعلم لا يخلق الحقائق ، ولكنه يكشف الحقائق الموجودة فعلاً ، والقرآن الكريم يتكلم عن حقائق واقعة ملموسة ، سواء عرفها الإنسان أو لم يعرفها بعد ، ووسيلة الإنسان إلى محاولة معرفة هذه الحقائق يأتى عن طريق إعمال النشاط الذهني بالملاحظة ، والتجربة ، والاستقراء .

إن القرآن الكريم كتاب الله وآياته ، والكون آية من آيات الله ، وهو الكتاب الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد نزل القرآن الكريم مناسباً لكل العصور ، وكل عصر يأتى له القرآن بخير جديد فى الفكر ، وفى تأكيد الإيمان ، وخير جديد فى مواجهة تطورات الحياة ليعيش الإسلام ويبقى ديناً لكل العصور ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

### خامساً : العلم لا نهاية له :

#### (أ) مواصلة التزود بالعلم :

إن طلب العلم ليس له حدود يمكن الوقوف عندها ، وإنما على الفتاة المسلمة أن تواصل قراءتها وتعلمها وتثقفها فى شتى أنواع الثقافات والعلوم ، وخاصة فيما يتعلق منها بمجالات وظائفها الطبيعية الأساسية كزوجة وكأم حتى تزداد خبراتها علماً وعملاً

ويتسع أفقها ، وينعكس ذلك كله بالخير عليها وعلى زوجها وأولادها وبيتها ومجتمعها ويجب على الفتاة المسلمة ألا تغتر بعلمها مهما أوتيت من علم ، وحصلت على درجات علمية ، بل يزيد بها ذلك تواضعاً للخلق ، وخشية للخالق عز وجل .

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾<sup>(١)</sup>

ويوصينا الرسول ﷺ بمواصلة التزود بالعلم طوال حياتنا :

[ خُذِ الْعِلْمَ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّخْدِ ] .

ويقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه :

[ لَا يَزَالُ الرَّجُلُ عَالِمًا مَا طَلَبَ الْعِلْمَ ، فَإِنْ ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ فَقَدْ جَهِلَ ] .

ويقول الإمام الشافعي رضى الله عنه :

كلما أدبني الدهر ——— رُأَني نَقَصَ عَقْلِي

وإذا ما زِدْتُ عِلْمًا ——— زَادَنِي عِلْمًا بِجَهْلِي

ويقول الشاعر الباكستاني محمد إقبال :

قالت النفس قد علمتُ كثيراً ——— قلتُ هذا الكثير نَزَرَ يَسِيرُ

تملأ الكنوزُ غرفةً من محيط ——— فيرى أنه المحيط الكبير

وقال صلوات الله وسلامه عليه : [ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا ] .

قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ

قَالَ : « بِمَجَالِسِ الْعِلْمِ »<sup>(١)</sup> .

(ب) عظات وعبر من قصص الأنبياء :

سليمان والهدد :

يوضح لنا القرآن الكريم في قصة سيدنا سليمان عليه السلام أن الإنسان مهما أوتي

(١) سورة فاطر - من الآية ٢٨ .

(٢) رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس .

من العلم فلن يحيط إلا بالقليل . فسلیمان علیه السلام آتاه الله علماً كثيراً ، وكان على معرفة واسعة وعميقة ، وقال عز وجل مبيناً ما منح سبحانه سليمان وأباه داود من العلم :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا <sup>(١)</sup> ﴾

ومع ذلك جاء الهدهد الطائر الصغير الضعيف وقال لسليمان النبي الكريم الملك العظيم :

﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ <sup>(٢)</sup> ﴾

نعم ، أحاط الهدهد الطائر الضعيف بما لم يُحِط به نبي الله .  
ويعطينا القرآن الكريم عظة وعبرة من هذه الواقعة ، وهى أن العلم لا نهاية له ، وأن الإحاطة به مستحيلة ، والناس يتقاسمون بعضه ، يُحِيط منهم فريق بما لم يحيط به الآخرون ، وهم جميعاً لا يحيطون إلا بالبعض القليل .

وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا <sup>(٣)</sup> ﴾

موسى والخضر :

كما يوضح لنا القرآن الكريم قصة أخرى لنبي من أنبياء الله التقى بعبد من عباد الله أعلم منه ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

حدثنى أبى بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

[ إِنْ مُوسَى قَامَ حَظِييًّا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَسُئِلَ : أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ قَالَ : أَنَا .

(١) سورة النمل - من الآية ١٥ .

(٢) سورة النمل - من الآية ٢٢ .

(٣) سورة الإسراء - من الآية ٨٥ .

فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرِدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ  
الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ ] .

ولما التقى موسى بالخضر ، قال الخضر لموسى :

« إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ  
عَلِمَكَ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ » .

ولما ركبوا السفينة جاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة ، فقال  
الخضر لموسى :

« مَا عَلِمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ »<sup>(١)</sup> .  
سبحانه وتعالى الذى أحاط بكل شىء علماً .

إن قصة موسى والخضر هذه هى قصة هذه الحياة وهذا الكون الذى نعيش فيه ، إنها  
قصة تثبت فى صورة عملية واضحة رائعة أن وراء المعلومات والمكشوفات فى هذا العالم  
وفى هذه الحياة مجهولات كثيرة ، وأن ما يجهله الإنسان - وأعظم إنسان فى عصره - أكثر مما  
يعلمه ، وأن الإنسان دائماً يبنى حكمه على ما يشاهده ويشعر به ؛ ولذلك يخطئ كثيراً  
ويتعثر كثيراً ، وأنه لو انكشفت للإنسان حقائق الحياة وبواطن الأمور وعواقبها لتغير  
حكمه كثيراً ، ونقض ما أبرم ، فإنه لا إحاطة له بهذا الكون الواسع .

فالحياة غامضة ، وبها ألغاز لا يستطيع أى إنسان على ذكائه وعلمه أن يحلها ،  
والكون واسع فسيح ، لن يستطيع العلم البشرى مهما اتسع وارتفع أن يكشف  
غوامضه ؛ لذلك لو منح الإنسان حرية التصرف المطلق لأفسد العالم وأهلك الحرث  
والنسل ؛ لأن نظره قاصر ، وعلمه محدود ، وقد خلق الإنسان مِنْ عَجَلٍ ، وفُطِرَ على  
السرعة وقلة الصبر . لقد اختار الله لتقرير هذه الحقيقة العظيمة التى هى أساس الإيمان  
بالغيب أعظم شخصية فى عصره ، والذى أوتى علماً كثيراً ، وخيراً كثيراً ، وهو موسى

(١) رواه البخارى .

عليه السلام ، وتبدأ رحلة موسى مع الرجل الذى آتاه الله من عنده رحمة ، وَعَلَّمَهُ مِنْ لَدُنْهُ عِلْماً ، فيصطدم علم موسى وفهمه بالأحكام الظاهرة مع واقع الأمر والحقيقة الباطنة التى يجهلها فى ثلاث قضايا .

أولها : يخرق الخضر السفينة التى حملتها وأركبها صاحبها عليها من غير أجر .

ثانيها : يقتل الخضر غلاماً ذكياً لم يُسئِ إليهما ولم يسئِ أبواه .

ثالثها : يقيم الخضر جداراً من غير أجره يتقاضاها فى قرية لم يُضَيِّقْهُمَا أهلها ، ولم يعرفوا حقهما .

تصرفات غريبة من الخضر الذى يتخذ موقفاً لا يقره العقل ، ولا يؤيده المنطق ، ولا يستسيغه الذوق .

ولا يملك موسى نفسه - وهو المؤمن الغيور والنبي المرسل - أمام هذه التصرفات الغريبة إلا أن يتساءل مستنكراً :

﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾<sup>(١)</sup>

ولكن الظاهر لنا شىء والحقيقة التى تخفى علينا شىء آخر . وما أعجب الحقائق إذا ظهرت . ويكشف الخضر القناع عن هذه القضايا الثلاث التى كانت موضع دهشة واستغراب موسى ، فيتجلى أن الخضر كان مصيباً ، ومحسناً حكيماً فى تصرفاته الثلاثة ، وأنه لم يكن مسيئاً فى موضع إحسان ، ولا محسناً فى موضع إساءة .

فقد أحسن الخضر إلى صاحب السفينة بخرقها ، إذ حفظها من الاغتصاب ، فقد كان وراءها ملك يأخذ كل سفينة - صالحة سليمة - غصباً ، فكافأه بذلك على إحسانه ومعرفته .

وقد أحسن الخضر إلى أبوى الغلام بقتله ، إذ كان الغلام فتنة لهما ، كان يخشى أن يرهقهما طغياناً وكُفْراً ، فرأى أن بكاء ساعة أفضل من بكاء طول الحياة ، وما بعد الحياة فالغلام عنه عوض ، ولكن لا عوض عن الدين والعافية .

---

(١) سورة الكهف - من الآية ٧٤ .

وقد أصلح الخضر الجدار وأقامه لأنه كان ليتيمين من أبوين صالحين ، وكان تحته كنز لو تهدم الجدار لانكشف الكنز واختطفه الناهبون ، وبقي الغلامان من غير مال ولا رصيد .

وهكذا يظهر أن صلاح العمل ينفع في الحياة وبعد الممات :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾<sup>(١)</sup>

وهنا يظهر الفرق بين من يحكم على الظاهر لأنه حجبت عنه الحقيقة ، وبين مَنْ عنده الحقيقة .

وما أعجب الحقائق إذا ظهرت ، وما أبعد الشقة بين الصورة والحقيقة ، وبين الظاهر والباطن ! وما أجراً الإنسان في ادعائه أنه احاط بكل شيء علماً ، وادعائه أنه وصل إلى الحقيقة في كل قضية فيشرع لنفسه ويترك شريعة الله !

وما أبعد الإنسان عن الصواب وسُبُل الرشاد حين يتبع هواه .

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيًا يُغَيِّرُ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾<sup>(٢)</sup>

إن العلم البشرى لم ولن ينتهى إلى الحد الأخير ، وصدق الله العظيم العليم حيث يقول :

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup>

إن هذه القصة وما تشتمل عليه من روح ومغزى تتحدى التفكير المادى الذى يلح على أن الحياة هى التى فهمها الإنسان ، وعلى أن الكون هو الذى أحاط به الإنسان علماً ، وأن ليست الحقيقة إلا ما تتراءى للعيون . وأن حكم الإنسان على الظاهر وقيام الإنسان بالتشريع بادعائه أنه قد اكتمل عقلاً وعلماً ودراسة ، وبلغ إلى أعماق العلم

(١) سورة التوبة - من الآية ١٢٠ .

(٢) سورة القصص - من الآية ٥٠ .

(٣) سورة يوسف - من الآية ٧٦ .

وحقائق الكون ، كلها ادعاءات زائفة باطلة ، وادعاءات فاسدة مضللة . لقد قامت الفلسفات المادية والحضارة العصرية على أساس هذا التفكير ، والاعتقاد بفهم الإنسان كل شيء ، وحُكمه على أساس ظاهر الحياة . وقصة موسى والخضر تنقض هذا الأساس وتهدم هذا البناء ، وتنتهى القصة بقول الخضر لموسى :

﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾<sup>(١)</sup>

والتأويل فى اصطلاح القرآن الكريم هو الحقيقة . وهكذا يتعجل الإنسان وينكر ويخطئ حتى تتجلى له الحقيقة ويأتى التأويل<sup>(٢)</sup> .

---

(١) سورة الكهف - من الآية ٨٢ .

(٢) فى رحاب الكون ، مع الرسل والأنبياء ، للمرحوم الدكتور عبد الحليم محمود . وتأملات فى سورة الكهف للشيخ أبى الحسن الندوى ومحاضرة للشيخ محمد متولى الشعراوى بكلية الطب - جامعة القاهرة .